مطلع البدر

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٦م

نقل المؤلفون الجُدد الذين استعملوا الحسابات الفلكية أن ولادة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بحسبِ الحساب الذي يعتمد المعادلات المعروفة كان يوم الاثنين من صبيحة يوم التاسع من شهر ربيع الأول، الموافق للعشرين أو اثنين وعشرين من شهر نيسان، سنة ٥٧٠ أو ٥٧١ من ميلاد السيد المسيح، وهذه الرواية تطابق إحدى روايات ابن سعد في طبقاته، بمعنى أننا بحسب هذا الحساب نعيش في هذا اليوم التاسع من شهر ربيع الأول ذكرى مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وثمّة روايات أخرى كثيرة أن مولده صلى الله عليه وسلم كان في الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

والمناسبة تُلزمنا، يا عشّاق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ويا أحبابه، أنّ نقف وقفة تعظيم وتقدير وإكبار أمام هذه الشخصية الفريدة العظيمة، أمام شخص سيد الكائنات الذي اختصه الله تبارك وتعالى من بين خلقه، فكان أول الخلق منـــزلةً ومكانة وسيادة.

قال تعالى: {فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ، وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ، وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ، وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ١٥ - ٢٩]

والبشرية التي تعيش اليوم ظُلمها وظَلامها، تعيش في ليلٍ دامس يعبث فيه العابثون، ويعلو فيه صوت القوة على صوت المبدأ والحق.

هذه البشرية تنتظر من جديد مطلعَ بدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عليها بشريعته الغرّاء، وعدالته السمحاء التي لا تفرّق بين القوي والضعيف، والتي ترفع الناس إلى مستوى الأُخوَّة التي تُحقّ الحقّ وتبطل الباطل، والتي لا تترك باغيًا يُفسد في الأرض كما يشاء، وتجعل الضعفاء أسرى فخ ما يسمى بشرعية دولية يغلب أنها في أكثر أوقاتها لا شرعية لها.

هذه البشرية التي تعيش الليل الدامس تنتظر من جديد مطلعَ البدر:

وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

نعم، فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو البدر المنتظَر بكل ما تحويه الكلمة، لأن شخصية الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنهاجه هما مُنقذ العالم في وقت الضياع.

وحينما نقف بين يدي صاحب الذكرى سيدِنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يَحسُن بنا في مثل هذا اليوم أن نستعرض شيئًا مما يُذكّرنا بهذه الشخصية العظيمة، إن كنّا غفلنا عنها، ويحسن بنا أن نذكر شيئًا عن هذه الشخصية الفريدة لعلّ الذين لم يسمعوا - أو سمعوا لكنهم لم يتأملوا و لم يتدبّروا - يعرفون شيئًا عنه صلوات الله وسلاماته عليه.

سوف أقتطف من أنوار هذا البدر الكامل، الذي سماه أهل المدينة " **البدر**"، وسماه فرحُهم بقدومه "**بدرًا**"، وهو يرجع صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في غزوة تبوك، والمدينةُ تخرج بصبيانها وجواريها تنشد ذلك النشيد الذي أصبح عنوانًا وشعارًا لكل محبٍّ أحبَّ سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم:

طلع البـــدر علينـــا من ثنيَّـــات الـــوداع
وجب الشكر علينـــا مـــــا دعـــــا لله داع
أيها المبعـــوث فينـــا جئت بالأمر المطـــاع
جئت شرّفت المدينـــة مرحبًا يـــا خـــير داع

هذه الصور نستمدها من نور البدر في عجالة:

أما الصورة الأولى فنأخذها من حياته الشريفة الكريمة صلى الله عليه وسلم:

الطفل أبو قرصافة (جندرة) كان يرعى غنمًا لأمه وخالته، فاجتمع بالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم والحبيب المصطفى يتجول، فاستأنس برسول الله صلى الله عليه وسلم، وحاطه النبي صلى الله عليه وسلم ببركته وآنسه ومسح بيده الشريفة على ظهور أغنامه.

هذا الطفل الذي روى هذه الحادثة - ودُهش حين رأى بركة النبي صلى الله عليه وسلم يرعاها، فانتشت ودبّ فيها النشاط وامتلأت أثداؤها باللبن... - حكا ذلك لأمه وخالته، فطلبتا منه الاجتماع بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبعد الاجتماع صوَّرت المرأتان شخص النبي صلى الله عليه وسلم فقالتا:

"يا بنيّ، ما رأينا مثل هذا الرجل، ولا أحسن منه وجهًا، ولا أنقى ثوبًا، ولا ألين كلامًا، ورأينا كأن النور يخرج من فيه".

أما خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول:

"ما شممتُ عنبرًا قطُّ، ولا مسكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وكان طيبه صلى الله عليه وسلم يدوم أثره في الطريق الذي يمر منه، فيجد الناس فيه رائحة الطيب فيقولون: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق.

وكان إذا قرأ صلى الله عليه وسلم القرآن انفعل كلُّ مَن حوله له، حتى أعداؤه.

ولا أعجبُ حينما ينفعل أصحابك يا سيدي يا رسول الله تأثّرًا وبكاء وأنت تقرأ كتاب الله تبارك وتعالى، لكنني أعجبُ حينما ينجذب إلى تلاوتك أعداؤك، فقد روى أحد أعدائه (وهو الأخنس بن شريق، الذي كان رأس بني زهرة) أنه كان يجتمع في يوم من الأيام هو ورأسا مكة: أبو سفيان وأبو جهل، كان الثلاثة (مع شدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم) يجتمعون (دون أن يعلم أيٌّ منهم بصاحبه) قريبًا من بيت النبي صلى الله عليه وسلم، فيخرجون إلى جوار بيته متوهمًا كلٌّ منهم أنه وحده الذي يفعل ذلك، فإذا وصل هناك اتخذ لنفسه مكانًا وجلس ساكنًا يستمع من وراء الجدران إلى قراءة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يتلذذ بالبيان الذي يسمعه من فم المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويكون كالمخمور بالنشوة حتى يطلع الفجر، فيفاجأ كلٌّ من الثلاثة بصاحبه، ويعنِّف كلٌّ منهم نفسه وغيره وهو يرى تناقضه المفضوحَ بين عداء النهار وما يحصل في الليل، ويتعاهدون على أن لا يكرروا ما حصل، ويُفاجَأ كلٌّ منهم أنه يقول لنفسه: إن صاحبيَّ اليوم لن يأتي أحد منهما، ويجتمع الثلاثة معًا (وهم من أشد الأعداء للنبي صلى الله عليه وسلم) لسماع تلاوته صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك يزور الأخنس بن شريق كلاًّ من صاحبيه منفردًا، ويسأله عن رأيه فيما يسمعه في الليل، فيقول أبو سفيان ما يقول الأخنس ويصف انجذابه، أما أبو جهل فيعلن عن حسده ومنافسته لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

هذه صورة على عُجالة يمكن أن تكون اقتباسًا من نور البدر في شخصيته الكريمة صلى الله عليه وسلم.

ومن أبرز أوصافه وهي الصورة الثانية ما نقله القرآن الكريم أولاً:

فقد قال سبحانه: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: ٤].

وقال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران: ١٥٩].

وهو الذي يقول: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [التوبة: ١٢٨].

ويروي أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: **(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ).**

أما ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فيقول: **(لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقًا).**

أما أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه فيقول: **(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا).**

ويروي أَبُو مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: **(إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ فِيهِم الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ)**.

وهكذا يجتمع في شخص النبي صلى الله عليه وسلم: الحُسن والشجاعة والجود والخلق الحسن، وتجتمع مع شجاعتِه صلى الله عليه وسلم وغضبتِه للحقّ في المواقف صفةُ الحياء، ونادرًا ما تجتمع صفة الحياء مع الغضب لله سبحانه وتعالى في الوقت نفسه.

ويحكي سيدنا علي رضي الله عنه عن وصف مجلس النبي صلى الله عليه وسلم: فيقول:

(كان يعطي كل جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه)، فكلُّ جليسٍ من جلسائه يشعر أنه وحده المخاطَب لما كان يقوله صلى الله عليه وسلم في المجلس، وكلٌّ منهم كان يحسب أنه الأكرم في المجلس، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يُكرم جلساءه.

وفي مصداقيته صلى الله عليه وسلم:

يقول الله تبارك وتعالى: { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى } [النجم: ٣-٤].

ويقول: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب: ٢١] وحينما يعتمد الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدًا أسوةً حسنةً لنا فإنه تبارك وتعالى بهذا البيان يصدّق كلَّ ما يصدر من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضى عنه.

وهو الذي يقول: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا } [الحشر: ٧].

وهو الذي يقول: { قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ } [آل عمران: ٣١].

ومن صورته صلى الله عليه وسلم ومن إشعاعات هذا البدر حينما يكون مع ربه:

كان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: **(إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)**.

وكان يقول لهم: **(أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ: قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَصْدَقُكُمْ وَأَبَرُّكُمْ)**.

وهو الذي قال الله سبحانه وتعالى له: { قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً } [المزمل: ٢] فقام.

وهو الذي قال الله تبارك وتعالى له: { فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } [الزمر: ٢] فعبد الله مخلصًا له الدين.

وهو الذي قال الله تعالى له: { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى } [طه: ١٣٠] فسبَّح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ورضي عن ربّه.

وهو الذي قال الله تعالى له: { وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } [المزمل: ٨] فذكر اسم ربّه وتبتّل إليه تبتيلاً.

ومن صور تحمّل رسول الله صلى الله عليه وسلم وثباته وصبره في الدعوة:

ما قاله صلى الله عليه وسلم وهو يخبر أمته ويخبر أصحابه: **(لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ).**

ويقول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: **بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ** (أي: بعير) **بالأمس فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلا جَزُورِ بَنِي فُلانٍ** (أي: كرشهم) **فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، قال ابن مسعود: وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ** (أي: لو كانت قوة) **طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ** (أي صبية صغيرة) **فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم.**

ومن أنوار هذا البدر الكريم ومن صور حياته الاجتماعية مع أسرته وأصحابه: تقول عائشة رضي الله تعالى عنها: **(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي).**

وتقول عائشة رضي الله تعالى عنها وهي تحكي عن معاملته لبنته رضي الله تعالى عنها، وصلوات الله وسلامه على أبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، تقول عائشة:

(أقبلت فاطمة تمشي كأنَّ مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو شماله).

أما أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فيقول: **سمع أذناي هاتان، وبصر عيناي هاتان، رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيديه جميعًا بكفَّي الحسن والحسين، وقدميه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله يقول: إرقه، قال: فرقي الغلامُ حتى وضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم،** يرقيه النبي صلى الله عليه وسلم من قدمه إلى صدره الشريف، وهو صلى الله عليه وسلم يمسك به، **ثم يقول له صلى الله عليه وسلم: افتح فاك، ثم يقبله صلى الله عليه وسلم ويقول: اللهم أحبه** (يطلب من الله تبارك وتعالى الحب له) **فإني أحبه،** ويزيد بعضهم كما في بعض الروايات: **(حُزُقَّة حُزُقَّة، ترقَّ عينَ بقَّة).**

وهو يرقيه صلى الله عليه وسلم ينشد له ويقول: **(حُزُقَّة حُزُقَّة، ترقَّ عينَ بقَّة)** يمازحه ويؤانسه صلوات الله وسلامه عليه.

هكذا كان مع أزواجه وكان مع أولاده وكان مع سبطيه رضي الله عنهما وهما طفلان صغيران.

أما نموذج صلته مع أصحابه: فنأخذ منها قصة استئذان عمر رضي الله عنه في العمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له: **(يا أخي يا عمر أشركني بدعائك)**.

هكذا يقول سيد الكائنات الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهكذا يتنـــزَّل إلى أصحابه ويخاطبهم بلفظ "يا أخي"، ثم يطلب سيدنا رسول الله منهم الدعاء له.

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدنا يا رسول الله، وكل الأمة تصلي عليك، وكل الأمة تدعو الله تبارك وتعالى أن يزيدك رفعة وثناء وبهاء، ولكنك يا رسول الله تعلمنا، وتوجد لنا النموذج الذي ينبغي أن نفهمه ونتدبره.

يقول: **يا أخي يا عمر، أشركني بدعائك.**

وفي رواية: **(لا تنسَني من دعائك)**، ومن منا ينساك يا سيدنا يا رسول الله؟!

ويروي الحاكم بإسناده: **أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه، حتى غص المجلس بأهله وامتلأ، فجاء جرير البجلي فلم يجد مكانًا، فقعد على الباب، فنـــزع رسول الله صلى الله عليه رداءه وألقاه إليه، فأخذه جرير فألقاه على وجهه وجعل يقبله ويبكي، ورمى به إلى النبي صلى لله عليه وسلم وقال: (ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله كما أكرمتني).**

هكذا كان يعامل أصحابه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

ومن صور توجيهه العام:

* كان يوجه صلى الله عليه وسلم إلى **أثر الأقوال** حينما يأمر بنقل الحديث الشريف: فقد روى الحاكم عن جبير مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: **(نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها إلى من لم يسمعها)**.

* وكان صلى الله عليه وسلم ينبّه إلى ضرورة **الأخذ عن النموذج العملي**، حينما يقول: **(خذوا عني مناسككم)**، فكان صلى الله عليه وسلم يطلب منهم أن يراقبوا حركاته وأن يراقبوا أفعاله الشريفة.

* وكان صلى الله عليه وسلم في توجيهه **يعتمد التبشير بدلاً عن التنفير: فقد قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كما يروي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، **سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**

إن اللبن قد امتلأ في ثدييها، وهي تحنُّ إلى ولدها وتبحث عن أيّ صبي حتى ترضعه حنينًا إلى ولديها، فيستثمر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصورة، ثم يقول لأصحابه: **أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا.**

وهو صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول لأصحابه: **(يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا)**.

* وكان صلى الله عليه وسلم في توجيهه يعتمد **التوجيه الذي يتناسب مع استعداد الفرد المخاطب أمامه**، فكلٌّ من الأصحاب كان يأتيه ويطلب منه أن يوصيه، وكان يخص كلاً منهم بوصية تختلف عن وصية صاحبه:

فقال لبعضهم: (**لا تغضب**) حين طلب أن يوصيه صلى الله عليه وسلم.

وقال لبعضهم: (**تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**).

وقال بعضهم: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال: (**لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**).

وقال بعضهم: يا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، فقَالَ: (**قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ**).

وقال بعضهم: يا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: (**قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**)، قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا.

وقال بعضهم: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: (**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**).

وقال بعضهم: أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**).

وسأل بعضهم: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: (**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**).

وسأل بعضهم: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فقَالَ: (**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**)، قِالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (**جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**)، قِالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (**حَجٌّ مَبْرُورٌ**).

* وكان صلى الله عليه وسلم **يستوعب الشباب**، فقد جاء فَتًى شَاب إلى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **يا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.**

هكذا استوعب صلى الله عليه وسلم الشباب، وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يرعاهم ويوجههم رغم أنهم كانوا يتعلقون بالشهوات.

لكنه صلى الله عليه وسلم وظف النصيحة، ثم توجَّه إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء لهم.

* **ووجّه بعض أصحابه إلى اللغات** غيرِ اللغة العربية حتى تكون حاضرة في الحياة الشريفة، فقد قال زَيْد بن ثَابِتٍ: **أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ.**

* وكان صلى الله عليه وسلم **يتنـــزّل في توجيهه إلى الواقع ولا يكتفي في التوجيه النظري**، لكنه صلى الله عليه وسلم كان يمارس التربية العملية حتى للصغير والكبير، فقد **مر صلى الله عليه وسلم بِغُلامٍ يَسْلُخُ شَاةً فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ، فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الإِبِطِ وَقَالَ: يا غُلامُ هَكَذَا فَاسْلُخْ ثُمَّ مَضَى وَصَلَّى لِلنَّاسِ)**

حينما يكون هذا من حاكم الأمة، ويكون هذا من فقيه الأمة، ويكون هذا من تالي القرآن الذي تهتز لتلاوته الجبال، ويكون هذا من المرشد الأكبر صلى الله عليه وسلم، ويكون هذا من سيد الكائنات وسيد ولد آدم... إنه صلى الله عليه وسلم يمر بغلامٍ يسلخ شاة، فينـــزل صلى الله عليه وسلم ويعلمه بيده الشريفة صلوات الله وسلامه عليك يا سيدنا يا رسول الله.

* **وكان يدعو إلى تعميم التعليم** حتى لا يكون التعليم منحصرًا في أفرادٍ دون أفراد، وهذه من أوائل سياسات استيعاب الناس كلهم في التعليم، فقد قال صلى الله عليه وسلم وهو يعني الأشعريين:

(ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم، ولا يعلّمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والله ليعلّمن أقوامٌ جيرانهم، ويفطنونهم ويفقهونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلّمن أقوام من جيرانهم ويتفطنون ويتفقهون أو لأُعاجلنَّهم بالعقوبة في دار الدنيا).

* وكان صلى الله عليه وسلم كما يوجّه إلى الأخلاق وإلى العبادة كان **يوجّه إلى الاقتصاد** ويوجه إلى القيمة المادية، لأنه صلى الله عليه وسلم علّمَنا التكامل والتوازن بين الحس والمعنى، والبدن والروح، فهو صلى الله عليه وسلم القائل: **(إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ).**

وهكذا كان ينهى صلى الله عليه وسلم عن تضييع المال تنبيهًا إلى القيمة المادية في الأمة التي ينبغي على هذه الأمة أن تتنبه إليها.

* **ووجَّه إلى الصناعة:** وقال وهو يجيب عن سؤال "أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟": **(تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ).**

* **ووجه صلى الله عليه وسلم إلى الزراعة:** وهو صلى الله عليه وسلم القائل: **(مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، فَإِنْ لَمْ يَزْرَعْهَا فَلْيُزْرِعْهَا أَخَاهُ).**

ونبه إلى قيمة الأرض التي يعرفها أهل الاقتصاد والتي هي عنصرٌ من عناصر الإنتاج حينما قال: **(مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ).**

وقضى أن الأرضَ أرضُ الله والعبادَ عبادُ الله فقال: **(وَمَنْ أَحْيَى مَوَاتًا فَهُوَ أَحَقّ بِهَا).**

إنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يترك الأرض (وهي عنصر من عناصر الإنتاج) مهملة، لكنه صلى الله عليه وسلم فسح المجال للجميع ليستثمر هذا العنصر من عناصر الإنتاج، ويوظفه توظيفًا صحيحًا.

* **وكان يوجّه المجتمع إلى ما يحفظ نظامه:** وهو القائل صلى الله عليه وسلم: **(فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا،** قال هذا في حجة الوداع، **في بلدكم هذا،** أي مكة، **وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، ألا وكل ربًا في الجاهلية موضوع، وإن دماء الجاهلية موضوعة، لا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، يا أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقًّا، وإن لكم عليهنَّ حقًّا، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنَّ خيرًا، إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئٍ مالُ أخيه إلاَّ عن طيب نفسٍ منه، يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى).**

* **وكان يتخللهم بالموعظة:** وبين التوجيه والتوجيه كان صلى الله عليه وسلم يرقق قلوبهم بالموعظة، ويتحدث بما تلين معه القلوب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه قال: **(كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا).**

ويقول العِرباضِ بن ساريةَ رضي اللّه عنه، **(وَعَظَنا رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم موعظةً وَجِلت منها القلوب، وذرفتْ منها العيون، فقلنا: يا رسولَ اللّه! كأنها موعظةُ مُودّع فأوصنا، قال: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تأمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ).**

صلى الله عليك يا سيدَنا، ويا إمامَنا، ويا حبيبَنا، ويا بدرَنا، ويا نورَ عيوننا، ويا أيها المنتظَر في هذا الليل الدامس حتى ننتفع وتنتفع البشرية بأنوارك...

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدنا يا رسول الله..

نحتاج إلى أخلاقك.. ونحتاج إلى توجيهك.. ونحتاج إلى الاقتداء بأفعالك.. ونحتاج إلى الاهتداء بأقوالك.. ونحتاج إلى التأسي بصبرك.. ونحتاج إلى أن ننتفع بثباتك..

اللهم إنا نسألك أن تجعل في قلوبنا حبَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أحبَّ إلينا من كل شيء، وأحبَّ إلينا من الماء البارد على الظمأ يا الله.

اللهم إنا نسألك أن تجعل اهتداءنا واقتداءنا به.

اللهم اجعل هذا الشهر الأغرَّ شهرَ مولده مناسبةً من أجل أن تشرق في قلوبنا في ظرفه أنوارُ هذا البدر الكريم، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.